الأبالسة

تأليف : ج . ب . بريستلى

ترجمة : عبد الرازق يسرى

شعر مستر باتسون وهو يدخل العيادة النفسية بالرضا حين جذب اليه دكتور سميث بدلا من شريكه دكتور ماينشتاين ليتولى فحصه . ودكتور سميث رجل فى الخمسين من عمره يلبس نظارة بدون اطار ويحمل فى يده قلما فاخرا اشار به الى مستر باتسون وهو جالس على مقعد امامه فى غرفة مكتبه وسأله :

ـ ما عملك على وجه التحديد يامستر باتسون ؟

ـ اننى أقوم بأعمال التصدير وهو ما تشتغل به كل اسرتنا فنحن نتلقى الطلبات من الشرق الأقصى وغيره من الجهات النائية ثم نتولى شراء البضائع وتصديرها ونستفيد بوجه خاص من فهمنا للوائح الصادرات وقيود التجارة التى لا يحسن فهمها المشترون من تلك الجهات .

ـ يبدو لى انك ناجح فى اعمالك وان كان اكثر الناس وانا منهم يشكون من متاعبهم المالية فى هذه الايام . قالها دكتور سميث وهو يضحك ضحكة مصطنعة كأنه ممثل فى رواية هزلية .

وهنا اشترك معه مستر باتسون فى الضحك وهو يقول :

ـ هذا صحيح .

ـ اذن نستطيع ألا نقيم وزنا للمتاعب المالية بالنسبة لك .

ـ نعم . نعم بكل تأكيد .

ـ ما الذى تشكو منه اذن ؟

فقال مستر باتسون فى شىء من التردد .

ـ قبل ان اروى لك قصتى هل يمكننى ان اسألك سؤالا ؟

فقال دكتور سميث وهو مقطب الجبين :

ـ لا بأس ان كنت تظن ان فى ذلك اية فائدة .

فبادره مستر باتسون بقوله :

ـ هل تعتقد يا دكتور سميث ان هناك قوة شريرة فى هذا الكون تسعى جهد طاقتها لتدمير الانسانية مستعينة فى ذلك بأبالسة يظهرون بيننا فى صورة البشر ؟

فقال دكتور سميث :

ـ لست ارى ذلك بكل تأكيد فهذا وهم لا يؤيده اى دليل علمى وان كان من السهل ادراك السبب فى سيطرة مثل هذه الفكرة السخيفة على عقل اى شخص يعانى من التوتر العاطفى ·غير ان المجال لايتسع هنا لتفسير ذلك · ويكفى ان اخبرك أنها محض خيال وان فكرة وجود قوة شريرة تكيد لنا فكرة خطرة، ولها نتائج شديدةالضرربالمجتمع فهل تدرك ذلك يامستر باتسون ؟

ـ فى بعض الاحيان حين يمكننى النظر اليها كما تنظر انت · اما فى اغلب الاحيان فانى لا انظر اليها كذلك وهذا سر وجودى هنا ·

ـ فقال دكتور سميث وهو يدون شيئا فى مذكرته :

ـ حقا لقد احسن صنعا من نصحك بطلب العلاج النفسى فان هذه الاوهام كثيرا ما تتطور تطورات خطيرة · غير انه لا داعى لازعاجك بذكر التفاصيل الفنية وحسبى ان اقول لك انك انت أو قرينتك جدير بالتهنئة على الاقدام على هذه الخطوة فى العلاج · والآن من الأفضل ان تخبرنى بقصتك الكاملة دون أن تحذف شيئا قد يبدو مثيرا للسخرية اذ أنى لن استطيع ان اساعدك الا اذا كنت صريحا معى كل الصراحة · وربما أوجه لك بعض الاسئلة غير أنى لا أريد بذلك الا زيادة الايضاح ·

فأخذ مستر باتسون يستجمع ذكرياته ثم قال :

ـ منذ عام أو نحو ذلك دعانى ابن عمى الى تناول العشاء معه فى ناديه فلما انتهينا منه ذهبت الى بهو الاستراحة وهناك سمعت فيربرايت ذلك الرسام الشهير يذكر لجماعة من اصدقائه تلك الفكرة قائلا انه سمعها فى سوريا ·

فعلت وجه دكتور سميث ابتسامة خفيفة وهو يقول :

ـ لعلك تقصد فكرة الثورة الشريرة التى تسعى الى تدمير الانسانية ؟

ـ بالضبط · وقد قال فيربرايت ان الشاعر بليك كان اول من اعلن انها أخذت تعمل بيننا فى السنين الأخيرة·

فرفع دكتور سميث حاجبيه وهو يقول :

ـ تعمل بيننا ! ماذا تعمل ؟

ـ ان هدفها الرئيسى على حد قول فيربرايت هو ان تجعل الناس يسلكون السبيل الذىسلكته الحشرات الاجتماعية فيتحولون الى مخلوقات اوتوماتيكية ،الى كتل من كائنات عديمة النزعة الفردية ، الى آلات من اللحم والدم ·

فبدا على وجه دكتور سميث المرح وهو يقول :

ـ ولكن ماذا تقصد الثورة الشريرة من هذا العمل ؟

فأجاب مستر باتسون :

ـ انها تريد ان تدمر روح الانسانية وتمحو من الارض السرور ومحبة الحياة· هذا ما قاله فبرايت ·

ـ ولكن الم تكن انت تعتقد مثل اعتقاده ؟

ـ انا لم اتمالك نفسى من الاحساس بصحة ما يقول · وقد كنت قبل ذلك

لا ارى هذا الرأى ولااعبأ بهذه النظريات غير أنى بدأت ارى ان الأمور ليست على ما يرام وبعد ان كنت اعتقد ان الانسان هو الذى يوجه حياته كيف يشاء اخذت اجد شيئا فشيئا ان الناس يعيشـــون على خلاف ما يشتهون · انهم اشبه بمن يرسل ملابسه لمحل التنظيف فيعيدها له باهتـــة اللون كئيبة المنظر · هل تفهمنى يا دكتور ؟

ـ نعم · نعم · هذا صنف من الناس يعرفه الطب وقد يكون لسنك وطبقتك الاجتماعية اثر فى ذلك · فلا تنس ان الطبقة الوسطى قد تأثرت فى أعقـــاب الحـــرب من الوجهـــة الاجتماعيـــة والاقتصادية ·

فأجاب مستر باتسون محتدا :

ـ هـــذا لا يعنينى فى شىء · فأنا لا يضـــيرنى ان كانت هذه الطبقـــة الاجتماعية قد اصابها ضرر كثير اوقليل انما الذى اريد ان اقدره ··

ـ ان فكرة وجود قوة خفية شريرة لا تعتبر تعليلا مقنعا لتعاسة الناس ·

ـ لقد ذكرت لك بداية الموضـــوع فحسب واحب ان استكمله ·

ان لهذه القوة اعوانا ·

ـ اعوانا ! لعل فيربرايت هو الذى اوحى اليك بهذه الفكرة ·

ـ طبعا ولكنى ارى انه لا بد لهـذه القوة من وسيلتين لكى تجعلنا نسـلك سلوك الحشرات · احداهما ان تستخدم نوعا من الدعاية المستمرة لتمنعنـــا من الاقدام على اى امر جديد وايثار السلامة والبعد عن التأملات والقيام بالاعمـــال الروتينية والوسيلة الثانيةهى استخدام هؤلاء الاعوان ·

ـ ما موقف هؤلاء الاعوان منا ؟

ـ انهم اشبه بالطابور الخامس الذى يعمل على الهدم فى كل مـــكان · فهم يكرهوننا ويمارسون العمل ضـــدنا زرافات ووجدانا ويهيىء بعضهم لبعض الوظائف ذات النفوذ ·

ـ ما اسم هؤلاء ؟

ـ الأبالسة ·

ـ لعلك تقصـــــد انهم مخلوقات خيالية أو اشـــباح قادرة عـــلى الشر والايذاء ·

ـ قالها دكتور سميث بشىء من نفاد الصبر فأجابه باتسون :

ـ لا · لا · انا لست من السذاجة بحيث اتصور ذلك ، انهم اشـــخاص حقيقيون دائبون على العمل كالنحل ·

ـ لو ان لهذه الفكرة ظلا من الحقيقـة بحيث كان هؤلاء الاشخاص يســـعون حقا للتاثير فينا والسيطرة علينا لـكنت يا مستر باتسون قابلت واحدا منهم على الاقل ·

من قال انى لم أقابل منهم أحـدا ؟ لقد قابلت منهم كثيرين، عشرة على الأقل من بينهم صهرى ·

وفى هذه المرة لم تبد الدهشة عـلى دكتور سميث بل أخذ يتفرس فى وجه مستر باتسون برهة ثم جعـــل يدون شيئا فى مذكرته وهو يقول :

ـ لقد قابلت عشرة منهم على الأقل·

وصهرك من بينهم ، كيف اكتشفت انه من طائفة الابالسة ؟ ·

ـ لقد ظللت أعجب من أمر هارولد بضـــع سنين ولو أنى كنت اكرهه باستمرار فهو من اولئك الذين لايمكنك ان تفهمهم · فأعمالهم لاتدل على وجود اى شعور انسـانى لديهم او اى دافع يستحق التقدير · انهم يتصرفون كما لو كانوا آلات اوتوماتيكية ·

هل تدرك ماذا اعنى يا دكتور ؟

ـ يحسن ان تخرجنى من هـــذا الموضوع · وحسبك ان تخبرنى عن رأيك فى هارولد ·

ـ اجل · انه عديم الاحساس ولست اجتمع به الا من اجل زوجتى · حقـا ان موقفه ليس بالعدائى غير أنه لايستمع الى مثلا وانا اكلمه الا وهو متأفف واذا سألته أجابنى متثاقلا ببرود فلا أجـد مفرا من التوقف عن محادثتـــه حتى فى شئونى الخاصة · انه لا يشجعنى على الحديث معه بل يحملق فى بعينيه وهـو صامت · ومع انه مـــوظف بالمجلس البلدى من واجبه ان يعمل على ارضاء الناس الا انه يصدنى ولا يكاد يجدنى اتمتع بشىء الا ويفسده على · فانا مغرم بالمعارض ولكنى اذا ذهبت الى احدها مع هارولد لا أشعر بأى متعة واذا رافقته لمشاهدة مباراة فى كرة القدم تحولت الى شىء ممل واذا دعوته الى حفلة عائليـة صرت اعانى من وجـوده ما اعانى واذا ذكرت له ما اعده من خطط لزيادة اعمالى بادر بتـدمير حماستى وافهامى انهـا لا تستحق المجازفة وحثنى على أن أدع الامور تسير فى مجراها العادى ·

كان هذا يحدث قبل ان استمع الى فكرة الابالسة فلما وعيتها بدأت اهتم بشـــئون المجلس البلدى لأرى مبلغ التأثير السيىء الذى يحدثه هارولد فى الاعضاء فكم من موظف كفء عمل هو ووكيـــل المجلس ـ وهـو من طائفـة الأبالسة كذلك ـ على فصـــله أو ان استبدل به موظفا ضعيفا بحجة التوفير مع انى لاحظت أن المجلس لايراعى التوفير الا اذا اقتضى الامر الانفـــاق من أجل مقـاومة طائفة الأبالسـة أما بالنسـبة للرسميات والمظـاهر فالمجلس لايعرف الوفر ، وهذا ما تشكو منه بلدتنـــا والدولة بأكملهـــا بل كثير من الدول الاخرى كذلك ·

فقال الدكتور :

ـ ومتى اعتقدت يقينا ان هارولد من الأبسالة ؟

ـ كونت رأيى فيه بعد ان فـــكرت طويلا فيما قاله فيربرابت ويعلم الله انى لم أكن اعتقد فيه ذلك من قبل · وأغلب ظنى ان نفسا من نفوس الابالســـة قد تقمصته وان نفوس الابالسة قد تقمصت كثيرين سواه ، فبهذا وحـده يمكن أن نعلل كثرة عـددهم فى وقتنـا الحاضر ولا ريب انهم يعرفون بعضهم البعض ويتعاونون تعاونا وثيقا ويتلقى بعضهم أوامر بعض وينفذونهـــا كما لو كانوا جيشا سريا منظما ·

الفرصة الوحيدة الباقيـــة أمامنا لمقـاومتهم هى كشف أمرهم للنـــاس واعلان الحرب عليهم ·

عند ذلك تســـاءل دكتور سميث قائلا :

ـ كيف نقاوم هذا الجيش اذا كان سريا كما تقول ؟

ـ لقد فكرت طويلا فى ذلك وليس الأمر ميئوسا منه كما قد يتبـــادر الى ذهنـك فبالبحث والاستقصـــاء يمكن معرفتهم كما عرفت أنا هارولد ووكيل المجلس البـلدى ونحـو عشرة غيرهمـا انى اعرف السؤال الذى يجول بخاطرك يا دكتور وهو ما اذا كانـــوا كلهم من الموظفين العموميين . والجواب لا ولـكن اكثرهم من الموظفين لأن السلطة كامنة فى هؤلاء كما ان منهم السياسيين كذلك ورجال المال . وكلهم يتســـمون بتلك النظرة الخبيثة واللمسـة الـكريهـة . ويمكنك ان تحكم على صـــدق ما اقول لو شاهدت مثلى مؤتمرا من مؤتمراتهم.

فقال دكتور سميث :

ـ اى مؤتمراتهم شاهدت ؟

ـ ان كنت مصرا على معرفة التفاصيل فانا على استعداد لذكرها. لقد استرقت السمع ذات يوم فوجدت هارولد ووكيل المجلس البلدى يزمعان التوجه الى قاعة موندى على بعد عشرين ميلا لحضـــور

مؤتمر لوضع خطة العام الجديد . ولم أعر هذا الموضوع التفـــاتا فى بادىء الامر . غير انه عندما اقترب الموعدخطر لى أن أتتبعهـا سرا لأكتشـف ما يدبره هؤلاء الأبالسة فى الخفاء فى ذلك المكان الريفى البعيد ، فذهبت اليه بالسـيارة وتسللت من باب الخدم الى داخل المبنى ومن حسن الحظ لم يعبأ بقدومى احد حتى رأيت بابا مغلقا عالجته حتى فتحته فوجدته يؤدى الى غرفة لها شرفة تطل على قاعة المؤتمر . فزحفت حتى لايرانى أحد . وجعلت أطل من خـــلال السور فرأيت نحو أربعمائة عضو من الأبالسة فى مؤتمرهم الجهنمى حيث تجـــرى مناقشاتهم التى تحتمل دائمـــا معنيين مما يجعل الأمر ملتبسا على السامع وهذا ما برع فيه الأبالسة . فهم يتظاهرون بأنهم مواطنون مخلصون ولكنهم يعملون على سلب كياننا الفردى وجعلنـا نحيا حياة كحيـــاة الحشرات . وقد جعلت اختلس النظرات اليهم اختلاسا لما كنت اعانيه من الرعب . فقد كنت اعلم ان اقل بادرة تبدر منى معناها الاعتقـال وكنت احس بصوت زعيمهم وهو يخطب كانما ينساب الى عبر خط تليفـــونى فيسرى فى دمى وعظامى قبل ان يطرق اذنى .

فقاطعه دكتور سميث قائلا :

ـ ماذا سمعته يقول ؟

ـ قبل ان اذكر ماقاله سأخبرك بشىء لن تصدقه . فعندما اختلست النظرة الأخيرة اليهم رأيت منظرا كاد يجمد منه دمى فى عروقى فقد رأيت مئات منهم وقد عادوا الى اشـــكالهم الأصـــلية فتحـولوا الى ما هو أشـــبه بحشرات شفافة لها عيون كأنها شـــعلات من جهنم .

فعاد دكتور سميث يستحثه قائلا :

ـ ولكن ماذا سمعت زعيمهم يقول ؟ هذا ما اريد معرفته .

وهنا مسح مستر باتسون جبهتـــه المبللة بالعرق وهو يقول :

ـ لقد سمعته يشكرهم على ما قاموا به من جهد نحو طمس صـفات الجنس البشرى . وصدقنى يا دكتور انه لم يبق لنا الا فرصة اخيرة لمحـــاربتهم بكل ما اوتينا من قوة ـ قالها مستر باتسون وهو يلوح بذراعيه فى عنف .

عند ذلك ربت دكتور سميث عـــلى كتفه مهدئا ورجاه أن ينتظره حتى يعود فلما تخطى عتبة الغرفة وجد دكتـــور ما ينشتاين لا يكاد يملك نفســـه من الضحك عـــلى ما ســـمعه من خرافة الأبالسة وبعد لحظة أطبق الطبيبـــان وممرضهما الضخم على مستر باتسـون فالبساه قميص المجـــانين فى الوقت الذى كان يشعر فيه بلا ادنى شك انهم من الأبالسة .